# طقس الجناز والحياة المقامة

## في الكنيسة القبطية

القمص تادرس يعقوب ملطي

# المحتويات

غاية الطقس ..... ٣
حول طقس الكنيسة القبطية ..... ٤
الموت والحياة الأبدية ..... ٦

**غاية الطقس**

طقس الجناز في حقيقته حديث عملي تقدمه الكنيسة وسط الضيق لتكشف عن نظرتها للإنسان، وفهمنا للخلاص، ورجائها في الأبدية.

١. **قدسية الإنسان:** تجسد كلمة الله وتأنسه أعطى للإنسان في كليته تقديسًا خاصًا، فبعد أن كان الجسد يمثل ثقلاً على الروح الإنسانية، فيشتهي ضد الروح، والروح يشتهي ضد الجسد (غل٥: ١٧)، صار لنا بروح الله تناغمًا وإنسجامًا بين الجسد المقدس في الرب والروح المقدسة فيه، دون ثنائية! إننا لن ننكر السيد المسيح قد جاء ليسحب أنظارنا إلى الملكوت الداخلي (لو١٧: ٢١)، لهذا طلب ممن دعاه للخدمة أن يترك الموتى يدفنون موتاهم (مت٨: ٢٢)، فلا يرتبك بخدمة دفن الأموات ولو كان الميت والده على حساب الدعوة للكرازة والإهتمام بخلاص كل نفس وتمتعها بالحياة المقامة. هكذا يسحبنا ربنا يسوع من الإرتباك بالأمور الخاصة بالموت الزمني للإهتمام بأبدية كل إنسان. مسيحنا القدوس الذي طلب من تلميذه هذا الأمر إهتم أن يعلن في إنجيله عن دفنه، والدور الذي قام به يوسف الرامي مع نيقوديموس، وتقديم الأطياب لجسده المدفون...بهذا قدم لنا الإنجيل نظرة قدسية للإنسان في كليته خلال إتحاده بالكلمة المتأنس.

بمعنى آخر يمكننا أن نوجز النظرة الكنسية الإنجيلية للجنازات في الآتي:

**أولاً:** يلزمنا ألاَّ نرتبك في "المجاملات" أو "الإهتمامات" الخاصة بحالة إنتقال إنسان على حساب الخدمة والكرازة.

**ثانيًا:** يليق بنا أن نكرم الجسد، علامة إيماننا بشركته مع الروح في الجهاد كما في الإكليل، ووحدتهما معًا في الحياة الأبدية الممجدة.

**ثالثًا:** بينما نكرم أجساد إخوتنا أو أحبائنا الراقدين علامة قدسية الإنسان ككل لا يهتم أحد منا بجسده بعد الموت، فلا يركبنا كيف نموت أو أين ندفن...الإنسان الروحي يكرم الغير لا نفسه، لأن المحبة لا تطلب ما لنفسها بل ما هو للآخرين (١كو١٣: ٥). لقد أوصى القديس أنبا أنطونيوس تلميذيه أن يخفيا جسده حتى لا يكرمه أحد، ونسمع عن قديسين طلبوا من تلاميذهم أن يتركوا أجسادهم بعد الموت في العراء لتنتفع بها طيور السماء وحيوانات البرية.

٢. **رجاء القيامة:** في القرن الثاني إذ ظهرت بعض الهرطقات الغنوسية التي تحتقر الجسد كعنصر الظلمة، نادت بأننا نلنا القيامة خلال خلاص النفس وتمتعها بالإتحاد مع الله، وانه لا توجد قيامة للأجساد بعد! إهتمام الكنيسة الأولى بطقس الجنازات كان تأكيدًا للمؤمنين على الرجاء في قيامة الأجساد، لتشارك النفوس إكليلها، كما شاركها جهادها على الأرض.

٣. **وحده الكنيسة الجامعة:** في لحظات إنتقال الأقرباء، خاصة من الدرجات الأولى، يثور في الإنسان تساؤلات كثيرة، خاصة عن مدى علاقتنا بالراقدين. هل يحطم الموت علاقتنا بهم، ينزع عنهم حبهم لنا ويفقدنا إرتباطنا بهم؟!! وتأتي الإجابة العملية خلال هذا الطقس ألا وهو تأكيد وحدتنا في الجسد الواحد

خلال الرأس ربنا يسوع. نحن نحبهم وهم يحبوننا، نصلي من أجلهم وهم من أجلنا...فالموت الجسدي لن يحطم أو مشاعرنا أو عملنا الروحي نحو بعضنا البعض.

## حول طقس الكنيسة القبطية

لا زالت الكنيسة القبطية تحتفظ بالكثير من ملامح طقس الكنيسة الأولى في هذا الأمر، الذي كان يتركز في ست نقاط رئيسية[1]: [الصلاة في المنزل بجوار الجثمان بعد غسله ودهنه بزيت ولفه في كتان أبيض؛ موكب الجناز ويكون في النهار حيث يحملون السعف والمشاعل ويرتل المؤمنون المزامير؛ خدمة الجناز تضم تسابيح وقراءات من الكتاب المقدس ثم تقبيل الجثمان؛ إقامة القداس الإلهي (الأفخارستيا) تعبيرًا عن شركة الأحياء مع الراقدين؛ دفن الراقدين بأقدامهم نحو الشرق كمن ينتظر القيامة بإشراق شمس البرّ عليهم عند مجيئه على السحاب؛ تقديم وجبة محبة (أغابي) في اليوم الثالث كما في التاسع والأربعين حيث يجتمع الأحياء مع الأقرباء يسبحون بالمزامير ويصلون].

هذا هو الهيكل العام لطقس الجناز وما يدور حوله في الكنيسة الأولى، والذي يمكن أن يقال عنه أنه ذات هيكل طقس كنيستنا حتى اليوم:

١. **الصلاة في المنزل:** في الكنيسة الأولى يُغسل الجثمان ويُرشم بالزيت ويلف بكتان أبيض ليأتي الكاهن ويشترك الكل معًا في الصلاة في البيت، ولا زال هذا الطقس قائمًا في أغلب الأحيان دون الرشم بالزيت. إن ربطنا هذا الطقس بما كان يتم في أيام السبوت في كنيستنا القبطية حيث كانت العائلات تقوم بتنظيف المنزل كله ويستحم أفراد العائلة ليستعد الكل للتمتع بشركة القداس الإلهي، خلال نقاوة القلب ونظافة الجسد أيضًا، نقول بأن هذا الراقد قد إستراح كما في سبتٍ منطلقًا نحو السيد المسيح ليراه وجهًا لوجه في الفردوس، ينعم بالليتورچية السمائية والتسابيح الملائكية. وقوف الكل للصلاة حول الجثمان المغتسل والمدهون بالزيت والمتلحف بالبياض علامة بقاء شركة الصلاة بين الكنيسة كلها بأعضائها المجاهدين والمنتصرين.

   إلتحاف الجثمان بالكتان الأبيض يرفع مشاعر الحاضرين للتأمل في الغالبين في الرب، المرتدين الثياب البيض (رؤ٧: ٩)، يعيشون مع الحمل السماوي.

   بالنسبة للرهبان إنقطع عنهم طقس غسل جثمانهم بسبب دخول بعض النساء إلى الرهبنة في زي رجال لممارسة الحياة النسكية بقوة وجهاد عظيم[2].

٢. **موكب الجناز:** بحسب الشريعة الموسوية يُحسب الميت دنسًا ومن يمسه يبقى في حالة دنس حتى يمارس طقسًا خاصًا بتطهيره (عد١٩: ١١-٢٢). وعند الرومان كان موكب الجنازة يسير ليلاً، لأنه كان يحمل تشاؤمًا، أما في الكنيسة الأولى فكان موكب الجنازة يسير في النهار، لأننا لم نعد بعد أبناء ظلمة بل أبناء النور (١تس٥: ٥)، وكان أقرباء الراقدين يرتدون ثيابًا بيضاء (لا زال هذا التقليد يمارس في بعض البلاد

[1] J. G. Davies: A Dictionary of Liturgy & Worship. SCM 1978, p 96-97.

[2] راجع قاموس آباء الكنيسة وقديسيها (إيلاري، أثناسيوس (أثناسيا)، مارينا...الخ).

الأوربية)، وهو علامة إيمانهم بالحياة الأبدية المبهجة المقدسة في الرب، للأسف صار الأقباط يرتدون في الجنازات ثيابًا سوداء أو قاتمة، خاصة بالنسبة للسيدات...ليتنا نعود لطقس الكنيسة الأولى في هذا الشأن!

كان الموكب مفرحًا، فالأقرباء يرتدون البياض، والكهنة مع الشمامسة والشعب يرنمون مزامير الغلبة والنصرة وينطقون بالتهليلات السماوية، والبخور يرتفع من المجامر، والشموع تنير، والبعض يلوح بسعف النخيل! إنه موكب لإنسان قد إنطلق من العالم – وادي الدموع – ليلتقي بمخلصه ويحيا مع السمائيين.

٣. **خدمة الجناز**: لا أريد الإطالة في طقس خدمة الجناز حسب الطقس القبطي، إنما نلاحظ فيه الآتي:

**أولاً**: إن كان هيكل خدمة الجناز يكاد يكون واحدًا للكل، لكن توجد قراءات خاصة بالرجال وأيضًا النساء والصبيان والفتيات كما للشمامسة والكهنة وأيضًا للرهبان...الخ. الهيكل العام يعني مساواة الكل أمام الله كأعضاء في جسدٍ واحد، وإن كان لكل عضو تمايزه الخاص به ليقوم بدور متكامل مع أدوار الآخرين. أما إختلاف القراءات فغايته تقديم تعزيات للمؤمنين خاصة لأقرباء الراقدين تناسب حالة الراقد، نذكر على سبيل المثال:

أ. في جناز النساء تُذكر المرأة التي سكبت الطيب على السيد المسيح، وحسبه البعض خسارة بينما رآه السيد تكفينًا لجسده (مت٢٦). فإن كان رقاد السيدة يفقد الأسرة نوعًا من الأمومة للأبناء أو من العون لزوجها، هذا في نظر الأسرة خسارة لا تعوض، لكن مسيحنا يؤكد أن مقاييسنا البشرية غير مقاييسه، وأحكامنا غير أحكامه.

ب. في جناز الولد تؤكد الكنيسة بقراءاتها إهتمام الله بالأطفال الصغار (مز ١١٤)، فيشعر الوالدان أن ابنهما قد إنطلق إلى محب الأطفال.

ج. في جنازات الكهنة (أساقفة وقسوس وشمامسة) يحمل الجناز الكثير من التسابيح الكنسية للكشف عن مفهوم الكهنوت أنه وإن كان خدمة وبذل لكنه حياة داخلية سماوية مفرحة. كما تُقدم طلبة باسم المذبح للكاهن...لأن سرّ حياة الكاهن ونجاحه هو إرتباطه بالمسيح الذبيح. أما حمل الجثمان والسير به في موكب داخل الهيكل وفي صحن الكنيسة فيشير إلى تمتع كاهن الرب بالنصرة واستمرارية عمله الروحي الحيّ خلال الصلاة أمام الله من أجل البشرية التي أحبها واشتاق لخدمتها حين كان في الجسد.

**ثانيًا**: الهيكل العام لخدمة الجناز هو:

أ. صلاة الشكر: في تسليم حقيقي بين يديّ الله صانع الخيرات تقدم الكنيسة شكرها، لأنه أب يعمل دومًا لخيرنا...حتى وإن بدى العمل مرًا في فمنا.

ب. مزمور التوبة (مز ٥٠): تستغل الكنيسة هذه المناسبة ليمارس كل عضو توبته، طالبًا مراحم الله الغنية، ليكون له نصيب أبدي مع الرب.

ج. مختارات من المزامير: تمتزج التوبة بالتسبيح والحمد لله.

د. قراءات من البولس (رسائل معلمنا بولس الرسول) ومزمور وإنجيل...هذه القراءات تمثل صلاة لأن كلمة الله يُصلي بها وبها نتقدس (١تي٤: ٥)، وفي نفس الوقت تمثل تعليمًا وتعزية.

هـ. أواشي أو صلوات (أواشي السلامة والآباء والإجتماعات، قانون الإيمان، أوشية الراقدين) مع طلبات من أجل الراقدين.

و. تقبيل الجثمان: تكان تكون قد زالت في مصر ما عدا بالنسبة للكهنة أو الأساقفة، لكن هذه العادة لا زالت قائمة في بعض الكنائس الغربية.

**ثالثًا:** إن كانت كنيستنا تتسم بالفكر الإنقضائي الأخروي في كل عبادتها، فتسحب القلب نحو السماء في كل ظرف، فهي أيضًا كنيسة تؤمن بالواقع الذي نعيشه على الأرض. لهذا بينما يمثل طقس "خدمة الجناز" أنشودة غلبة على الموت، لتعلن مع الرسول "أُبتلع الموت إلى غلبة" (١كو١٥: ٥٤)، لكنها تقدم أيضًا القراءات والألحان بلحن "حزايني"، لتؤكد أنها تشارك أقرباء الراقد مشاعرهم، بسبب ما يعانوه من آلام الفراق، لكن بغير إستسلام للحزن ولا دخول في اليأس. ولنفس السبب يُدق جرس الكنيسة بلحن "حزايني".

**رابعًا:** في أسبوع الآلام (البصخة) يتوقف هذا الطقس تمامًا لتُقرأ قراءات البصخة...لأن أنظار الجميع متجهة إلى ذاك الذي مات من أجل الكل. وفي فترة الخماسين المقدسة إذ تبقى القراءات كما هي تُلحن "فرايحي"...علامة البهجة بقيامة الرب حتى وسط أحزاننا الوقتية.

٤. **القداس الإلهي:** يهتم الأقباط بإقامة القداسات الإلهية ترحيمًا على الراقدين. في الكنيسة الأولى كان الكاهن يذكر أسماء الراقدين من الشعب دون أن يُطلب إليه علامة أبوته للكل وإحساسه أنه من أهل بيت المنتقل.

٥. **الدفن:** لا يزال في كثير من بلدان مصر يُدفن الراقدون وأقدامهم نحو الشرق، كأنهم ينتظرون مجيء السيد المسيح القادم من المشارق[٣]. بنفس الفكر يوضع الجثمان أمام الهيكل والقدمان متجهان نحوه أثناء صلاة الجناز.

٦. **وجبات المحبة:** لا زالت هذه العادة قائمة في كثير من مدن صعيد مصر، وهو تقديم وجبات إلى أهل الراقد ليشترك الأقرباء والأحباء معًا في وجبات "أغابي" خاصة في الثالث والأربعين...الخ. ولعل غاية هذه الوجبات الأولى هي علامة الشركة بين المؤمنين، والحب المتبادل، أيضًا لإلزام أهل الراقد أن يأكلوا طعامهم، لأن البعض كان يمتنع أحيانًا بسبب الحزن.

## الموت والحياة الأبدية

✞ أنا هو القيامة والحياه، من آمن بي ولو مات فسيحيا (يو١١: ٢٥).

✞ أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟!...

[٣] للمؤلف: الكنيسة بيت الله، ١٩٧٩، ص ٧٨.

شكرًا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح (١كو١٥: ٥٧).

- هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي...

  وأجعل روحي فيكم فتحيون (خر٣٧: ١٢، ١٤).

- عنمد تنيح قيصريوس أخ القديس غريغوريوس النزنيزي جاء والدتهما بثياب وليمة، كأنها تحتفل بعروسه.

**In laudem Caesarii, 15, p. 35: 755f.**

- عندما قيل لراهب: مات أبوك، أجاب: كف عن التجديف، فإن أبي لا يموت!
- ليتنا لا نبكي الأموات، بل من بالحقيقة موتى.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**